

حسن موسى للرجال خوسا! .. بقلم: مصطفى عبد العزيز البطل

غربا باتجاه الشرق

mustafabatal@msn.com

حبيبنا الناقد والفنان التشكيلي العالمي الدكتور حسن موسى مثقف رفيع، بلغ من الرفعة أن بعض مريديه وضعوه في مصاف المفكرين. وبخلاف ما هو معروف عني من ضيق الصدر بمن يعترضون طريقي من العوام، فإنني أجل المفكرين (من أمثال حسن موسى وأعرف لهم قدرهم، فلا أحس تجاههم إحساس الغضب، حتى عندما يشتمونني ويرمونني بكل رزية. كوني ألتزم دائماً واستمسك بأهداب حكمة شعبية متداولة في جمهورية كازاخستان تقول: (شتيمة المفكر اللبيب زي أكل الرز بالزبيب)!

وقد أكرمني الحبيب الدكتور حسن موسى عبر السنوات، فأطعمني الأرز بالحليب المحلى بالزبيب في مرات كثيرة عبر كتابات اسفيرية وريفة ورسوم كاريكاتورية منيفة. بل انه، عرفنا منه بسموق قامتي في ميدان الصحافة والثقافة، صك في وصفي مصطلحاً خاصاً، هو مصطلح (الكاتب المُعَارِد). والمُعَارِدُ مُنتَجٌ جديد اخترعه حسن ووظفه لتوصيف تلك الفئة من الكتاب الذين يعارضون المعارضة السودانية لنظام الانتقاذ. وقد كتب في مورد تأصيل ذلك المصطلح: (من ينظر في مادة عَرِد في القاموس السوداني الفصيح يجد معاني الفرار يوم الهياج. قال حسان بن ثابت: "فتيان صدق كالليوث مساعِرٌ/ من يلقيهم يوم الهياج يُعَرِد". وقال الحارث بن العدي: "صقايح الفرخ بدن لك يا الجريك عُرِد"). وقد اعجبني مصطلح الكاتب المُعَارِد هذا، فاستحسنته واستبدعته، رغم مدلوله السالب. وكنت قبله استحسن وصف (الكاتب الانتهازي الخائن) الشائعة عني بين بعض مناضلي الكيبورد، وذلك بحكم خصيصة حب التميز والتألق والتفرد عندي. وحسب المرء تميزاً وتألقاً وفردة ان يكون اسمه (البطل الخائن)!

لي مأخذ واحد على حبيبنا حسن، وهو أنه أحياناً يكلف نفسه فوق طاقتها، فيكاد يهلكها، ليثبت لذاته ولغيره موقفاً مبدئياً صلباً ومتناسقاً ضد الأنظمة الشمولية. لدرجة أنه في بعض الأحيان يماري التاريخ ممارسة لا تشبه المفكرين الأحرار، والتاريخ لا يُكتب بأثر رجعي. ثم أنه يفتعل الحوادث افتعالاً، يبتغي أن يبني لنفسه في سفر الخلود مجداً موثلاً في النضال ضد نظام الانتقاذ القائم.

ذات مرة ذكر لي صديقي الدكتور خالد فرح سفيرنا في باريس (قبل عودته مؤخراً الى الخرطوم)، أثناء محادثة عابرة، أن هناك معرضاً ومهرجاناً للفنون التشكيلية يقام في معهد العالم العربي التابع لليونسكو في باريس، وأبدي تحسره ان السودان لا يشارك في مثل هذه المعارض. استغربت كلامه وسألته ان كان يعرف الرسام التشكيلي الدكتور حسن موسى الذي يقيم في مدينة فرنسية قريبة من باريس، فذكر لي انه يعرفه بالطبع معرفة عامة كفنان وناقد، وسألني إن كان بإمكانني ان اخبر الرجل عن هذا المحفل الدولي وعن امكانية مشاركته فيه، حتي يسارع خالد بالتنسيق مع سلطات اليونسكو. ولم اتردد في ان ابعث الى صاحبنا برسالة الكترونية تحمل تفاصيل الأمر ومقترحي بمشاركته في المكان والزمان المحددين تحت رعاية المنظمة الدولية وفي مقرها (كانت تلك هي المرة الاولى والاخيرة في الاتصال به في أمر كهذا). اتضح لاحقاً إن الرجل كان قد سافر الى الصين لغرض ما، فتعذرت مشاركته، ومن هناك بعث برسالة تفيض رقة وعضوبة يشكر فيها السفير على مبادرته وكرم نفسه. ولكن وفي اول فرصة تهيأت لحبيبنا حسن لأطعمامي بعض أرزه المخلوط باللبن والزبيب فإنه لم يدخر وقتاً فكتب ضمن مقال مطول، يشير الى تلك الدعوة، الكلمات التالية: (والبطل مواظب على سؤالي ودعوتي للمشاركة في محافل ومنتديات نظام مخدميه، بذريعة رفع رأس السودان عالياً)!

تحيرني دائماً تلك العقدة النفسية المستحكمة الكامنة في دخائل رجال، مثل حبيبنا حسن موسى، وتلك الرغبة الجامحة التي لا يملكونها عنها فكاكاً، لكأنها داء إدمان الكوكايين والهيروين، في أن يصوروا أنفسهم في عيون الآخرين وكأنهم جوائز وأيقونات نادرة تلاحقها الانظمة وتتعلق بأطرافها تعلق الولهان اليأس. أنظر - يا هداك الله - كيف بخبطة كيورد واحدة أصبحت هيئة اليونسكو (محفاً من محافل الانقاذ) ومعهد العالم العربي في باريس (منتدى من منتديات الانقاذ). وكيف أصبحت رسالة اليكترونية ودية واحدة نتجت عن محادثة عابرة بيني وبين صديقي الدكتور خالد فرح (مواظبة على الدعوات للمشاركة في منتديات نظام الانقاذ)!

هذا مع ان القاصي والداني يعلم ان سدنة الانقاذ الحقيقيين لا يقيمون وزناً للرسم التشكيلي الذي برع فيه حسن. ولو كانت لهم الخيرة من أمرهم لجعلوا من صالات الفنون التشكيلية اسطبلات للخيول. ولا تراودني ذرة شك في أنه لا يوجد بينهم من سمع أصلاً بإسم حسن موسى، ناهيك أن يعينوا عميلاً لهم (يواظب) على دعوتهم لمحافلهم! الاسبوع الماضي اعترت حبيبنا الدكتور حسن موسى، الذي اعتاد ولسنوات طويلة ان يلاحق غيره ويعايرهم بأنهم (مايويون) خدموا نظام النميري الشمولي، اعترته لحظة صدق مع النفس، فأعترف - رداً على هذا الكاتب - بأنه هو نفسه خدم، وبكامل ارادته، في امانة الاعلام بالاتحاد الاشتراكي، التنظيم السياسي الحاكم آنذاك، تحت قيادة فطاحلة الشمولية. كما اعترف بأنه عمل في جهاز التلفزيون المايوي في السنوات التي اعقبت تصفية الحزب الشيوعي واعداد قاداته، مشاركاً في مهمة صياغة الرأي العام من خلال الاعلام المايوي الموجه. أنكر صاحبنا معلومة تبرع بها بعض زملائه السابقين في تلفزيون مايو، فنفي ان يكون قد تلقى مكافأة شخصية وجه بها الرئيس جعفر نميري الذي كان قد اعجب بتصميمه لشعار برنامج سياسي معين، ولمح الى ان الذي صمم الشعار ربما كان الفنان ادمون منير. ولكنه كتب في لحظة شجاعة نادرة أنه لو طلب منه ان يصمم الشعار الذي اعجب الرئيس المخلوع لما تردد في تصميمه! حسن موسى يا حبيب: أسعدني أنني نجحت في أن انتزع منك ذلك الاعتراف بأنك كنت بوقاً مايوياً. وانك، بحسب كلماتك، كنت تحت الطلب ترسم وتصمم الشعارات لبرامج التوجيه السياسي تحت رايات المخلوع جعفر نميري، وتتلقى الرواتب والاعطيات وانت تكدرح في اعلام الاتحاد الاشتراكي الشمولي، ودماء اصحابك من شهداء يوليو 1971 لم تجف بعد. فالأكن أنا اذن أول المهنيين برحلة أوبتك من عالم الدعاوي الفارغة والشعارات الممجوجة والبطولات الوهمية والعنتريات التي صدعتنا بها زمناً طويلاً.

انا وغيري من الذين يقدرونك حق قدرك نأنس فيك الشجاعة أن تنهض فوق ركام عزتك بالاثم، فتقدم اعتذارك الجهير لكل الذين لاحقتهم عبر السنوات ابتزازاً وجبروتاً وتشبيحاً وبلطجة، من منطلق عذرية مبدئية ثورية مكذوبة وزائفة، وفي مقدمتهم شاعرنا العملاق، الانسان الشريف العفيف، محمد المكي ابراهيم. أقول أسعدني انني نجحت في المهمة التي انتدبت لها نفسي. وان ثمن النجاح كان ثلاثة أسطر دسستها في بطن مقال، صادفتك على وضوءٍ وطهارة، فأيقظت ضميرك، وأشاحت عن وجهك نفتات الشيطان. ولا نزيك على الله، هو أعلم بمن اتقى!

نقلا عن صحيفة (الخرطوم)